التراث الأرثوذكسي

ISSN 1814-7038

السنة السابعة عشرة، العدد العاشر، تموز ٢٠٢١

مختارات آبائية

القديس سمعان من دايبابي، مختارات من تعاليمه – ٩ (الجزء الأخير)

الشيخ يوسف الفاتوبيذي، مَن هو الشيطان وكيف يعمل

سير قديسين\حياة روحية

القديس ييرونيموس السيمونوبتري: هادئ تحت القصف

دروس حياة قيّمة من الشيخ المبارَك أثناسيوس الغريغوري

الأرشمندريت زخريا زاخارو، القديس صوفروني، رجل كلمة الله

حياة روحية\لاهوت

الميتروبوليت نيقولاوس خاتزينيكولاو، أصالة خبرة المسيحي المعاصر

الأستاذ جورج مانتزاريذس، الحدود بين الأرثوذكسية والبدعة عند القديس غريغوريوس بالاماس

مسكونيات

بندلايمون مطران أنتينايوس، طريق واحد للخلاص

القديس سمعان من دايبابي

مختارات من تعاليمه - ٩

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

١٦١. عندما يطحن حجر الرحى، من الضروري التحدث بصوت عالٍ، وعندما يكون هناك خطيئة كبيرة، من الضروري الصلاة كثيرًا.

١٦٢. إذا كان الخياط يستطيع الخياطة والغناء في نفس الوقت، يمكنك أيضًا، في نفس الوقت، العمل والصلاة بحرارة إلى الله.

١٦٣. لا تقاطع رجلاً يتكلّم، ولا تفكر في أشياء أخرى أثناء الصلاة، فهذا أمر فظيع وخاطئ.

١٦٤. عندما ترى كنيسة في طريقك، قم برسم إشارة الصليب، كما هو الحال عندما تقابل رجلاً حكيمًا في الحياة تفيدك معرفته.

١٦٥. صلِّ إلى الله عندما تشبع حتى لا تخجل عندما تقف جائعًا في الصلاة أمامه.

١٦٦. لا شيء يروي العطش أفضل من الماء الصافي، ولا خلاص للإنسان أعظم من الصلاة الحقيقية.

١٦٧. لا ترفع الدجاجة رأسها إلا عندما تشرب الماء، بينما المسيحي الصالح فيرفع أفكاره دائمًا إلى الله.

١٦٨. يحتاج الراعي إلى قربة للماء، بينما يحتاج الرجل إلى الصمت للصلاة. يمكن كسر القربة بسهولة، تمامًا كما يمكن أن تتعطل صلاة الرجل.

١٦٩. الرياح تحرّك البحر كما تحرّك الخطيئة الإنسان. هدّأ المسيح البحر، إذاً هو قادر على أن يمنحك الراحة أيضًا. المطلوب هو صلاة الرسول: "خلّصنا يا رب، فإننا نهلك" (متى ٤: ٣٨ ، لوقا ٨: ٢٤).

١٧٠. لا تطلب ابنة الإمبراطور لابنك، ولا تبحث عن عجائب الله للنفس. يصبح المرء عضوًا مشاركًا في العائلة المالكة بحكم موقعه [في المجتمع]، بينما تتم المعجزات بدافع الضرورة والتفاني.

١٧١. ما اسم المدرسة حيث تتعلّم العنكبوت نسج شبكتها؟ إذا كنت لا تعرف الجواب، كيف تستطيع معرفة أسرار خالق الكون؟

١٧٢. يتخلى الراهب عن العالم الذي يمثل عقبة أمام هدف عظيم. إلى ذلك، هو يتخلى عن نفسه مقدّماً لله أعظم ذبيحة يمكن أن تُقدم لله: حياته الخاصة.

١٧٣. أول الأمور وأهمها مما ينبغي بالراهب المتنسّك أن يقتنيه هي القناعة الثابتة بخدمة الله بحرارة إلى آخر ساعة من حياته، متجاهلًا العقبات التي تقف في طريقه، بل مؤمناً دائماً بأن المسيح هو

معونته. هذا ما يمدحه بولس بقوله إنه يستطيع أن يفعل كل شيء بواسطته، إذ يمنحه القوة. (راجع فيليبي ٤ ، ١٣).

١٧٤. كما نبحث عن معلم ومرشد للعلوم العادية في العالم والفنون والطب والرسم وما إلى ذلك، يجب أن نشعر بمسؤولية أكبر للعثور على معلم للحياة الرهبانية.

١٧٥. إذا لم يختَر الناسك الجديد أبًا روحيًا ومعلمًا، وإن لم يكن خاضعًا للطاعة، فلن يفشل وحسب في محاولته للوصول إلى الهدف المنشود، أي الإنجاز الروحي والخلاص الأبدي، ولكن في فعل إرادته، سيموت كما يقال. "عندما تنقص الفطنة يسقط الناس" (أمثال ١٤:١١).

١٧٦- إن الوسيلة الأولى والأكثر أهمية للحفاظ على روح الطاعة، والتي تقيّد عدو خلاصنا، هي التواضع الحقيقي: اعتبر نفسك أكثر الناس عجزًا، حتى لو مجّدك الناس في كل العلوم.

١٧٧. إن كشف أفكارك الخاطئة لأبيك الروحي لا يقل أهمية عن كشف مؤامرة الأشرار للعالم.

١٧٨. كما يجب أن نبقي النار تحت المقلاة أثناء طهي الوجبة حتى لا تبرد، علينا الحفاظ على روح الصلاة حتى لا تبرد الروح في محبتها لله، بل تظل في الالتزام الحَسَن، لقيادة المعركة ضد الشرير.

١٧٩. يزخر عصرنا برفاهية الجسد والبطون الممتلئة التي تلد كل الأهواء. احذر من الذين يأتون إليك بهذه الروح سواء كانوا علمانيين أو رهبانًا. لا تستقبلْهم بترحاب، بل اطردهم تمامًا.

١٨٠. الهدوء سلاح عظيم ضد الغضب. لكن تحت سطح الهدوء، يمكن للمرء أن يخفي ذكرى الأفعال السيئة، ما هو أسوأ من ذلك. شخص ما في قبضة الغضب لن يأكل، ومن هناك، يمنح المزيد من القوة لذلك الهوى. غالبًا ما تساعد التعزية المعتدلة في مواجهة الغضب، ولهذا السبب تتطلب المعركة مع هذا الهوى فطنة كبيرة.

١٨١. الكاهن، الذي يعرف دعوته السامية والنعمة التي منحها له الله، يجب ألا يمحو من عقله العقوبة الرهيبة التي تنتظره إذا أظهر أنه لا يستحق دعوته السامية (راجع حزقيال ٣٤: ٣- ١٠ ؛ متى ٢٣: ١٣-٣٣)

١٨٢. على الكاهن أن يتصرف كما لو أن حياته كلها مثال جيد لأبنائه، كعامل مستحق أمام الله، ينشر كلمة الحق باستقامة. (راجع تيموثاوس ١٥:٢).

١٨٣. على الكاهن أن يكتسب بجهوده محبة الناس، وهذا يتحقق عِبر الاهتمام بالناس. إنه طبيب النفوس ومعلّمهم أيضًا لأن العظات تحمل علم الخلاص.

مَن هو الشيطان وكيف يعمل

الشيخ يوسف الفاتوبيذي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

يخبرنا الكتاب المقدس أن الشيطان هو "لوسيفر الساقط". لهذا يقول الرب: "رأيت الشيطان ساقطاً كالبرق من السماء" (لوقا ١٠:١٨). إنه القائد، قائد رتبة الملائكة الذين سقطوا من السماء عندما أرادوا التمرد على الإرادة الإلهية. لقد تمّ طردهم وتلقائيًا سقطوا من خدمتهم وموقعهم. في الوقت نفسه، فقدوا جمال شكلهم المذهل المشرِق. لقد أصبحوا وحوشًا مروعة لدرجة أن مجرد تذكرهم أمر بغيض. في الأقنوم الشيطاني لا يوجد شيء جيد، مبارك، عادل، مباشر، عقلاني أو حقيقي.

بتمرده على الله، تحوّل الشيطان، الذي كان في يوم من الأيام حاملَ نور البر والمحبة والتقديس، إلى أداة كاملة للظلام والكراهية والكذب والشر المطلق وكلّ ما يسهم في الخراب الذي هو قابلية الموت والموت نفسه. لقد صار وسيبقى ظلامًا وأكاذيباً وهلاكاً، لهدف نهائي واحد: معارضة أي شيء لله وكل ما هو تحت مسئولية الله، وعلى وجه الخصوص البشرية. لقد أصبح، وسيظل إلى الأبد، وليّ الموت وقاطني الجحيم، هدفه الرئيسي هو إغواء أكبر عدد ممكن من الناس وإغرائهم لقضيته.

إنه يضع نصب عينيه بشكل خاص أولئك الذين يسعون إلى الاتحاد بالله. لا يحتمل الشيطان أن يراهم يرتفعون إلى مرتبة أعلى مما كان عليه قبل سقوطه، فيوجّه سهامه الخبيثة ضدهم. لقد ارتكب جريمةَ قتلٍ عمدًا ولا يزال يفعل ذلك.

لكونه كاذبًا ومراوغًا وشريرًا، هو لا يعبّر عن نفسه علانية. إنه يحرّك العقل بالإيحاءات والحواس بذرائع جائرة لإغواء فكرنا وإرادتنا، ولحثّنا على الموافقة على حيله. وبهذه الطريقة يقوّض ضحاياه بالازدواجية والنفاق والخداع.

غالباً ما يتحفّز الناس ويتصرفون بحسب الحواس والعواطف. العدو يعرف هذا. هذا هو السبب في أنه يحفّز الحواس مع تبريرات تبدو حميدة فيحصل بالتالي على موافقتنا بسهولة أكبر. كما ترون، هو يدافع عن الضرورة البيولوجية لفعل الأشياء في كل من عالم الجسد والروح.

إذا كنتم متحررين من الأهواء والعادات السيئة، فليس من الصعب تجنب غدر الشيطان وهجماته. ولكن إذا كنتم مدمنين على العادات الشريرة، فإن النضال صعب ومكثّف. أما إذا أخذنا في الاعتبار هدفنا والوصايا الإلهية، فإن المقاومة ممكنة، لأن لدينا النعمة التي تثبت معنا كحليف.

إن الوصية الرسولية: " قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ" (يعقوب ٤:٧) صحيحة ومؤكدة. ومثلها " إِنْ صَعِدَتْ عَلَيْكَ رُوحُ الْمُتَسَلِّطِ، فَلاَ تَتْرُكْ مَكَانَكَ" (جامعة١٠:٤). لا سلطة للشيطان أن يؤذينا بشكل مباشر

أو محسوس. يمكنه أن يغري فقط من خلال الصور التي يعرضها على شاشة أذهاننا ومن خلال التصورات في عقولنا. ثم نقرر بأنفسنا ما إذا كنا نقبل التحدي (التجربة) أو نرفضه. هذا هو الشكل الرئيسي للاتصال بين الشرير والبشر. ما يحدث بعد ذلك يعتمد على إرادة الشخص المعني: إما أن يستسلم أو يقاوم.

إن أسرع دفاع ومقاومة عندنا هو طلب عون الله (بالصلاة) واستذكار هدفنا وغايتنا. إن مثال ربّنا عندما كان في البرية هو نموذجُ النضال العملي ضد العدو وكل ما يتعلق به.

ليس لدى الشيطان القدرة على التنبؤ بالأشياء، ولا يعرف ما نفكّر فيه. إنه يستخلص استنتاجات من التغييرات في عواطفنا ويحفّز أعضاءنا ومشاعرنا وفقًا لذلك بنوايا خبيثة. عندما يرانا نميل نحو الصورة التي تمّ إسقاطها على خيالنا، سواء كانت حقيقية أو افتراضية، فإنه يدرك أين تكمن رغباتنا ونوايانا ويجلب لنا الطُعْمَ المناسب ليجعلنا ضحايا خاضعين.

الشيطان في طبيعته مثل النوس. إنه سريع للغاية، لا يعرف الكلل، لا ينام وبلا ضمير، وبلا هوادة في الشر والرداءة. يغيّر شكله ومظهره على الفور بما يناسب أغراضه الشائنة. إنه يسافر بسرعة كبيرة، إلى أي مكان وكل مكان ويستخدم أي وسيلة تحت تصرفه لتحقيق هدفه الرئيسي، وهو مقاومة إرادة الله.

القديس ييرونيموس السيمونوبتري: هادئ تحت القصف

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

طُلب من القديس ييرونيموس السيمونوبتري إغلاق الكنيسة لأسباب أمنية. لم يوافق إذ أراد أن يظل وفياً لواجبه.

"أيها الأب، لا تُقِم قداساً غدًا. الوضع خطير جدًا!"

"اسكت! صمتاً!"

"أيها الشيخ رجاءً! لقد ساء الوضع. كل يوم تسقط القذائف حولنا. نحن نخشى مغادرة المنزل. كما أننا قلقون عليك أيضاً."

برباطة جأش استمع الأب ييرونيموس إلى الأشخاص الذين وصلوا في الأيام القليلة الماضية، قلقين، إلى إسقيط الصعود في منطقة بايرون (قرب أثينا) في أتيكي، وهو إسقيط يتبع دير سيمونوبترا (جبل أثوس). لقد أرادوا سلامة الشيخ بقدر ما أرادوا أيضًا أن يجدوا ملجأً في هيئته السلامية.

قال لهم "اخرسوا ، اخرسوا". وصلّى سراً قانون الصليب المقدس ومديح مريم العذراء. لقد كان يؤمن بعمق بقوة المسيح وبالتالي لم يفقد سلامه أبداً.

في ١٩٤٣، كانت بايرون مركز الفصائل المتحاربة. كانت السفن الإنجليزية الرابضة في بيريا تقصف المنطقة. فيما كان الأب ييرونيموس يقيم القداس الإلهي. طُلب منه إغلاق الكنيسة لأسباب أمنية ولم يقبل.

خارج الهيكل كانت القذائف والصواريخ كالمطر. في لحظة ما، سُمِعَت نقرة رهيبة. ثم أخرى فأخرى. بدأت حجارة الكنيسة والجص في التساقط. كان الناس مرعوبين يبحثون عن طريقة للهروب والخلاص.

"لا تتحركوا!" أسرهم صوت الكاهن الموقر جميعًا. في الباب الملوكي وقف هادئاً: "أنا أكفل لكم أنكم حتى لن تتغبّروا! بعد قليل المناولة. تتناولون وتعودون إلى بيوتكم بهدوء".

في ذلك اليوم، الجميع تناولوا، وكما اعترف شاهد عيان: "مضوا إلى بيوتهم من دون غبار، بالرغم من وجود أكوام من الأنقاض مبعثرة حولهم. أما الأذى الذي لحق بالهيكل فقد تمّ إصلاحه بخمس عشر دقيقة. كمثل خلية النحل، تعاون الكثيرون وتبرعوا بالمال كما بالعمل الفردي وصار الهيكل أكثر جمالاً من قبل".

Source: "Orthodox Parables and Stories: St. Ieronymos Simonopetritis - "Peaceful in the bombs!"," https://www.facebook.com/pages/Orthodox-Parables-and-Stories/328957564248490

دروس حياة قيّمة من الشيخ المبارَك أثناسيوس الغريغوريي

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

مدخل للأب بيتر هيرز

القديسون هم رجال ونساء يجسّدون كمال الحياة المسيحية من خلال القداسة والفضيلة التي يجب أن نسعى إلى الاقتداء بها. ما يلي مأخوذ من السيرة المباركة والرؤيوية للشيخ أثناسيوس من دير غريغوريو (جبل آثوس). نجد ثلاثة دروس قيمة في الحياة نحتاج إلى سماعها وتنفيذها خلال هذه الأيام التي سقط فيها العديد من المسيحيين الأرثوذكس، كهنة وعلمانيين على حد سواء، فريسة للخوف المتأثر بالشيطانية والعقلانية الدهرية إلى حد التشكيك في قوة الأشياء المقدسة واستبدال التقاليد المقدسة بابتكارات تجديفية. كما نرى في حياة الرائي المبارك الشيخ أثناسيوس الغريغوري، نتعلم ثلاثة دروس قيمة في الحياة:

١) عندما نواجه خطرًا ، يجب أن نركض إلى الله وقديسيه أولاً بإيمان وثقة لا يتزعزعان طلباً للمساعدة والقوة والحماية؛

٢) عندما نمرض، يجب أن نسعى أولاً وقبل كل شيء بحماس إلى الشفاء الذي يقدمه لنا المسيح في مستشفى هيكله المقدس من خلال علاج الأسرار المقدسة والأشياء المقدسة كالرفات والأيقونات لأنها قنوات للشفاء والغذاء الذي نحتاجه؛

٣) عندما يسعى الناس إلى تقويض إيماننا ومهاجمته واضطهاده أو محاولة إدخال ابتكارات ضد المسيحية، خاصةً عندما تكون كفرية وتشكك بقوة الأشياء المقدسة، يجب أن نكون مستعدين للدفاع عن الإيمان وللتضحية بأي شيء من أجل الحقيقة وفي النهاية لخلاصنا، حتى لو كان هذا يعني المعاناة من السجن والغرامات وفقدان الوظائف وما إلى ذلك. غالبًا ما يكون ثمن طاعتنا للمسيح باهظاً في هذه الحياة الباطلة، على الرغم من وجوب أن نشعر بالراحة في معرفة أن ولاءنا للمسيح لا يرفعنا وحسب إلى المساكن السماوية التي وصل إليها القديسون، بل أيضاً أن أي معاناة أرضية لا تقارن ببركات الحياة الأبدية المجيدة، إذا ما بقينا أمناء حتى النهاية.

١) سرب الجراد بمواجهة القديسين

"في قرية فولتيسا، الواقعة في منطقة بييريا الساحلية شرق فيريا، كان لدير غريغوريو أنطش اشتراه في عام ١٨٥٧ من بيك تركي. ذات مرة، طلب الوكيل، وهو في غاية الاستياء، المساعدة من الدير بأن

يرسلوا إليه كاهنًا ورعًا ورفات مقدسة. إذ إن تلك المنطقة المنبسطة من البلاد ضربها شر رهيب هو جيوش لا حصر لها من الجراد تنشر الدمار وتهدد بتدمير كل شيء على مرمى النظر.

قرر مجلس الدير إرسال المساعدة على الفور. أُعِدّت الرفات المقدسة، ومن بينها ذخائر الشهيدة أنستاسيا الرومية. لم يكن لدى الدير كاهن راهب يرسله يفوق الأب أثناسيوس بالتقوى. وهو، إذ هو معتاد على الطاعة، عمل مطانية للأب الرئيس، وصلّى، وحصل على بركات الآباء، وانطلق لخوض معركة ضد الكارثة الطبيعية في القرية.

عندما وصل الأب أثانسيوس إلى فولتيسا، تألم بشدة من الكارثة، حيث رأى الضرر الذي يلحِقه سرب الجراد. بألم واضح، كان القرويون يتوسلون إلى الله أن يرحمهم إذ لم يكن لديهم أمل آخر. رحبّوا بفرح بالمعونة الآتية من الدير، وقبّلوا بحرارة الرفات المقدسة ويد الأب الراهب الآتي من الجبل المقدّس، والذي أثار فيهم إعجاباً كبيراً. توسلوا بدموع: "أبونا، صلِّ إلى الله أن يعمل معجزة".

لم يكن الوضع يسمح بأي تأخير. متسلّحًا بقوة إيمانه، ارتدى الأب أثناسيوس بطرشيله [*] وبدأ يرش بالماء المقدس. معه كان القديسون الذين يحمل ذخائرهم يصلّون. في حياته، أظهر الشيخ مرات كثيرة طاعة لله، أفلا يكون الله مستجيباً لتضرعاته الجادة؟ [**] في الصمت المهلك الذي ساد جموع المسيحيين المنكوبين، كان صوت الأب الجليل أثناسيوس الصامد يُسمع بوضوح:

«لا تلعنوا الأرض، ولا الكرم ولا البستان، ولا الشجرة المثمرة أو غير المثمرة، أو الورقة الخضراء... لكن اذهبوا بعيداً، انطلقوا من الأرض.»

وفيما كان القرويون يرسمون إشارة الصليب بتكرار، سار الأب أثناسيوس إلى الحقول حاملاً الرفات المقدسة بين يديه. كان الناس في حالة من العذاب والترقّب. كانت هذه المساعدة من جبل آثوس أملهم الأخير. هل سينجح هذا الكاهن بفعل أي شيء بقديسيه وصلواته؟ لكن ذلك لم يحدث قبل أن يتحوّل يأسهم إلى فرح عظيم.

فيما تابع الأب أثناسيوس السير في الحقول مع الرفات المقدسة، بدأ سرب الجراد، كما لو أن قوة ما غير مرئية تضربه، في المغادرة والطيران بعيدًا. بعد ذلك بوقت قصير، لم يعد ممكناً تمييز البحر المحيط بهم إذ تناثرت فيه ملايين الجراد الغارقة. لقد أُنقِذَت المنطقة من هذا الوباء الرهيب. لم ترَ المنطقة قط مثل هذا الابتهاج ودموع الفرح وتقبيل الأيدي بعد ذلك.

ما حدث بعد بضعة أيام في ميناء دير غريغوريو يفوق كل الوصف. في موكب رائع بالبخور والرايات والمراوح، استقبل الآباء الأب أثناسيوس بعاطفة غير مسبوقة. لقد استقبلوه كمثل قائد روماني عاد منتصرًا إلى روما بعد هزيمة البرابرة".

٢) رفات القديسين كمسالك للشفاء

"حامية أخرى للدير هي القديسة الشهيدة في العذارى أنستاسيا الرومية، التي استشهدت في القرن الثالث على يد داكيوس بعد تعذيب رهيب. في الجهة الغربية من الفناء الخارجي توجد كنيسة صغيرة مخصصة لإسمها. يحتفظ الدير ببقايا من رفاتها المقدسة، بما في ذلك أجزاء من جلدها كانت تفيض الطيب مع مرور الوقت. كما يوجد وعاء خاص يحتوي على أثار من دمها المسفوك وقت استشهادها.

تهتم القديسة أناستاسيا بشكل خاص بصحة الآباء، ولهذا السبب يطلقون عليها اسم "الطبيبة". ليس من السهل تعداد كل الحالات التي تحرر فيها الرهبان من المرض بقوتها العجائبية. كانت هناك فترات لا تعمل فيها عيادة الدير شيئاً، إذ إن مَن يمرض يسجد أمام رفات القديس أناستاسيا، فيشفى على الفور... شفاعة القديسين! كلما فكّر المرء أكثر في هذا الواقع، زاد تعجّبه. لقد خصص الله الصالح لمختلف مؤسسات الكنيسة "آلهة صغاراً"، إذا كان هذا التعبير مسموحًا به. كم يجب أن يشعر الإنسان بالسعادة إذ تغطيه أجنحتهم القوية! يجب على المرء أن يسهر ويصلي للحفاظ على أفضل علاقة ممكنة معهم".

٣) محبته واحترامه للتقليد المقدس

"في فترة رئاسته للدير، واجه الأب أثناسيوس عدة مرات مشاكل وصعوبات مختلفة. في سنواته الأولى كان منهكًا بسبب مسألة التقويم. لم يكن لديه أي رغبة في مواءمة الدير مع ما تحاول روح الحداثة فرضه عليهم.

كان موقفه يذكّر برهبان الستوديون: 'يجب علينا'، كما قال، 'أن نبقى ركائز ثابتة لتقاليد آبائنا القديمة ونظهر كجنود شجعان للمسيح، ولا نقول «الأساقفة والبطاركة يقولون لنا!» ماذا يقول لنا الرسول بولس فم المسيح؟ "حتى لو نزل الملائكة من السماء وكرزوا بإنجيل آخر، فلا تسمعوا لهم" (راجع غلاطية ١: ٨) ...

خلال فترة رئاسته التزم بعناية بالمبادئ التي وضعها للدير رؤساء الدير السابقون. وأعرب عن اعتقاده أنه كلما اقتربنا من تقليد الآباء في أسلوب حياتهم، نتمكن من تحقيق نهايتهم الناجحة. انحراف واحد عن التقليد يمكن أن يؤدي، خاصة بدون سبب جدي، إلى انحراف آخر. والثاني يقبل الثالث بسهولة، والشر يستمر ... "

Sources:
Archimandrite Cherubim, Contemporary Ascetics of Mount Athos Volume 1, pgs. 112, 114-115, 129-130, 131, 133-134.

* لنورد هذه الملاحظة: لقد اعتبر الأب أثناسيوس الكهنوت بمثل هذه التقوى والخوف لدرجة أنه عندما أصبح لاحقاً رئيسًا للرهبان وقام بسيامة حوالي سبع وعشرين راهباً، لم يجرؤ أبدًا على السماح لأي شخص بالتقدم إلى الهيكل المقدس. كان دائمًا يتذكر قوله: ’مع المسبحة في الجنة خير من مع البطرشيل في الجحيم‘ (ص ١١٢).

** "تنحني الجنة بسهولة نحو هذه النفوس، والحجب بين هذا العالم والآخر تنفصل بسهولة." (ص ١٣١)

القديس صوفروني، رجل كلمة الله

الأرشمندريت زخريا زاخارو

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

كما يقول القديس سلوان ويشرح القديس صوفروني، يمكن أن تدوي كلمة الله في قلب الإنسان في انسجام مع الصلاة. نتيجة سقوطه، انقسم الإنسان على جميع المستويات. لديه شيء في عقله وآخر في قلبه ويريد آخراً بحواسه. ليس لديه أقنوم. ومع ذلك، لا يستطيع الله التحدث إلى الإنسان طالما أن كيانه مجزأ. بعمل التوبة، تتقوى طبيعته الفانية، ويشفى كيانه ويتجمّع في عقدة واحدة محكمة. عندئذ يمكن لله أن يعطي كلمة، لأنه عندما يخاطب الإنسان، فإنه يوجّه نفسَه إلى أقنومه، أي إلى قلبه، أي إلى المكان الذي يتركّز فيه كل كيانه. هذا الحوار شخصي، وهو ينقل معرفة جديدة من العلى عن التجدد الروحي للإنسان.

يحذرنا الرب من أنه عندما نُدعى إلى المحاكم، يجب ألا نهتمّ من قبل بما سنجيب، لأنه في تلك اللحظة هو نفسه سيمنحنا "فَمًا وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا" (راجع لوقا ١٥:٢١). ولكن هذا لا ينطبق فقط على وقت الاضطهاد، لأن كلمة الرب صحيحة دائمًا. إنه ينطبق في أوقات السلم على النحو التالي: يعطينا الرب كلمة عندما نحاكَم طواعية، أي عندما نحكم على أنفسنا في ضوء الوصايا بروح إدانة الذات. بما أن هذا العمل يرضي الله ووفقًا لوصيته، فإن الرب يضع كلمات التوبة في أفواهنا، وهي تولّد الصلاة بقوة كافية لتغيير حالتنا وتبرير وجودنا ورفعِنا فوق تجاربنا.

بالغالب، هذه الكلمة هي آية من الكتاب المقدس تتوافق مع حالتنا. وهذا يدل على أننا يجب أن نجتهد في قراءة الكتاب المقدس، حتى نحمل كلام الروح القدس كالفحم المشتعل في ذاكرتنا وفي قلوبنا. يمكن أن يعيد الله إشعالها في داخلنا في الوقت المناسب، وبالتالي تلبية احتياجاتنا. كلمة الله تطهّر العقل وتنيره وتقدّسه. خاصة في عصرنا، عندما يتلوث ذهننا بسهولةٍ بظلام هذا العالم ونجاسته، فإننا نكون بحاجة أكبر من أي وقت مضى لتخصيص وقت لكلمة الله، كما ورد في الكتاب المقدس وفي كتابات القديسين.

أعظم موهبة عند القديس صوفروني كانت الكلمة التي تسبق فمه كثمرة للصلاة. على الرغم من التعبير عنها بلغة بشرية، إلا أنها حملت مسحة غير المخلوق. لهذا السبب، كان يجذب ويهزّ كلّ من اقترب منه. كتاباته أفكار صلى بها لسنوات. تم نقشها في أعماق كيانه كما بإزميل ملتهب وأصبحت واحدة مع طبيعته. الروح الموجود في هذه الكلمات يُنقَل إلى أولئك الذين يقرؤونها ويعملون التغييرات بداخلهم على قدر ما يستطيعون أن يستقبلوا.

الخدمة النبوية لكلمة الله في القديس صوفروني

المسيح هو المعجزة التي تذهلنا. إنه علامة الله لجميع الأجيال حتى نهاية الزمان، لأن كل مأزق وجد حلّه في شخصه. في حياته على الأرض، "عاش مأساة البشرية جمعاء، ومع ذلك لم تجد المأساة مكانًا فيه" [١]. على العكس من ذلك، قبل إذلاله الكلي، منح السلام لتلاميذه.

في شخص المسيح، ظهر الإله الأبدي الذي لا يُدنى منه، ولكن أيضًا الإنسان الحقيقي، كما تصوّره الله قبل تأسيس العالم في حضن الثالوث الأقدس برأيه العجيب والأزلي. كل الأشياء تحققت في شخصه، فهو "الطريق والحق والحياة" [٢].

بالامتداد، يمكن القول أيضًا أن جميع القديسين، كمقلّدين للمسيح، هم علامات الله لأجيالهم، الذين يقدمون حلاً "ليس من هذا العالم " للمشاكل التي يواجهها، سواء كانت فلسفية أو نفسية أو لاهوتية. إنهم يعيشون بطريقة طبيعية "مأساة البشرية، وفي نفس الوقت سلام المسيح"[٣].

" داخِلُ الإنْسَانِ وَقَلْبُهُ عَمِيقٌ" [٤] من الصعب التحدث عن القديسين، لأن الإنسان الذي ما زال يعيش في حدود العالم المرئي لا يستطيع حتى أن يتخيّل أعماق قلبِ مسيحي مقدس، ألمَ توبتِه ومحبته، الامتداد اللامتناهي الذي تجتازه صلاته كالبرق، وحرية روحه.

لقد استمرت حياة القديس صوفروني على الأرض قرابة قرن من الزمان، لكن حياته الروحية لا يُسبر غورها. فيما هو نفسه يكتب عن محاولته تصوير شخصية شيخه، القديس سلوان: "كلّ مَن قدّم نفسه بقلب نقي للتأمل في ذاته الداخلية يعرف مدى استحالة اكتشاف العمليات الروحية للقلب، لأن القلب في عمقه يمسّ حالة الوجود التي لا توجد فيها عمليات. ولكن الآن في كتابة هذه النبذة الشخصيةأجد نفسي في مواجهة مثل هذه المهمة: تصوير ارتقاء مجاهد ناسك عظيم"[٥].

على المنوال نفسه، لا يمكننا التحدث عن القديس صوفروني دون الانتقاص من عظمته. ومع ذلك، بأمر من الروح وضد رغبته في العيش بطريقة لا "يُرى من خلالها للناس"، [٦] ترك لنا كتاباته. وأفضل طريقة لمعرفة الصورة الروحية لهذا الرجل المقدس هي قراءة كتبه. كل فقرة هي ثمرة صلاته والشيخ حاضر تمامًا في كلماته.

نال القديس صوفروني بركة التمتع برؤية النور غير المخلوق العظيمة، عندما كان مجرد طفل رضيع. ولكن منذ سنوات شبابه الأولى شعر أيضًا بعبثية وغرور الحياة المؤقتة. خطؤه الفكري في مسارات التأمل التجاوزي الغريبة توقف عن طريق الوحي المنقِذ الذي جلبه الله أمام عينيه، كما في سيناء: "أنا هو الذي أنا".[٧] في توبته "كان يصلي مثل شخص مجنون يبكي بكاء غزيراً، مصاباً حتى عظامه".[٨] عادت صرخة صلاته"إلى مصدر مأساة العالم"[٩].

بشدةٍ أحبّ الشيخ صوفروني يسوع المسيح، الله خالقنا ومخلصنا"، و"بدون تراجع". وقد عبّر بكلماته عن أنه اختبر "حالتين من الوجود تبدوان متعارضتين تمامًا: النزول إلى الجحيم (التوبة والمحبة) والصعود إلى الملكوت"[١٠].

حتى نهاية حياته، تحدث بامتنان لا حدود له عن أبيه في الله القديس سلوان، الذي وصفه بأنه "أهم حدث في حياته"[١١]، وأعظم نعمة. لقد ردّ كل موهبة من العلى إلى صلواته. واعتبر أن الغرض من حياته وأعظم مهامه هي خدمة كلمة شيخه[١٢].

لقد عاش القديس صوفروني بيننا بكل بساطة. كان دافئًا ومحبًا، ولا يمكنك أن تنسى للحظة واحدة أخرى آخَرية روحه، على شِبه المسيح. عقل كان مختلفاً، ومشاعره مختلفة، وأفكاره مختلفة. كان كل اتصال معه بمثابة تفتّح للحياة. عندما كان يفتح فمه يبدو الأمر كما لو أنه انتزع الكلمة من الله وأنزلها إلى الأرض. لقد كان يجسّد كلمة الله في حياته. وبحسب ما يعترف هو نفسه: "كلماته، مثل النار كانت تُنقَل إلى ذهني وقلبي، فتعلّمتُ رؤية الأشياء من وجهة نظره، لأن كلمته أصبحت حياتي"[١٣].

بالتأكيد، عندما نقول أن الشيخ كان رجل كلمة الله، فإننا لا نعني أنه تحدّث عن كلمة الله، بل إنه كان يحمل القوة المحيِّية للإله الشخصي. كانت الكلمة الإلهية تدوي مثل القيثارة في قلبه سواء أكان مستيقظًا أم نائمًا. بمعنى آخر، كان حاملاً للكلمة التي تولَد في القلب بالصلاة، والتي تجدد الإنسان عندما تزوره، وعندما ينقلها إلى الآخرين تنبههم بالنعمة [١٤]. إنها تغيّرهم وتجددهم وتظهِر لهم طرق الخلاص.

لطالما شهدنا معجزات في حضوره، وأحيانًا معجزات مذهلة. ومع ذلك، فهو لم يطلبها أبدًا، ولم يهتم بها كثيرًا. كان يصلي من أجل المرضى، لأنه كان يتعاطف مع الناس ويرغب في تخفيف آلامهم، لكن هدف صلاته الرئيسي كان قلب أخيه. كان يعلم أن أعظم معجزة في كل العالم المخلوق هي اتحاد قلب الإنسان بروح الله. لهذا السبب، استهلكته الرغبة في خدمة هذا الاتحاد بين الوجود المؤقت والأرضي للإنسان مع نور أبدية الله.

شدد على أهمية المناداة باسم الرب يسوع للتغلب على مأزق المأساة الإنسانية ولكي يولد الإنسان في الملكوت الأبدي. يقول عن نفسه: "عندما يصل ألم القلب إلى حدود التحمل الجسدي، فإن استدعاء اسم يسوع المسيح يجلب السلام الذي يحفظ الإنسان حياً". لقد "برّح" بالصلاة الحارّة كل ما فعله أو نطق به.

كما أنه أعطى القداس الإلهي أهمية كبرى، فكان يغمره ويلهمه. قال إنه في زماننا، عندما لم يعد من الممكن إيجاد ظروف مؤاتية للحياة الهدوئية، الاحتفال بالليتورجيا الإلهية، باهتمام وخوف واستعداد مناسب، يجلب نفس النتائج على مستوى الروح، ونفس التقديس الذي تجلبه صلاة القلب. لهذا السبب

كان حريصًا على أن ينقل إلى رهبانه وكلّ مَن طلب مساعدته، محبته للسر الإلهي والتعرّف على مقاربة أكثر عمقاً له.

تمامًا كما اشتهى موسى أن يرى شعب الله كله يتنبأ، كذلك تاق القديس صوفروني أيضًا إلى أن ينقل إلى من حوله نَفَس الروح القدس، كمثل إلهام فنانٍ. لقد قال أن المسيحي يجب أن يكون فنانًا في حياته الروحية. هذا نظرًا لأن الفنانين يستحوذ عليهم موضوع فنهم ويسعون جاهدين لإيجاد التعبير المثالي لإلهامهم، كذلك يجب أن يستحوذ المسيح على المسيحي وأن يجتهد الأخير لتحسين علاقته به، ساعياً "لأن يدرك ذاك الذي من أجله هو أيضًا مُدرَك"[١٦].

بالنسبة للبعض، يصبح الأخ عائقا، حتى الجحيم بالنسبة لآخرين، بينما بالنسبة لأبوينا القديسَين سلوان وصوفروني، الأخ كان حياتهم. وسَّع الله قلوبهم لاحتضان السماء والأرض، تمامًا كما بسط المسيح يديه المقدستين على الصليب ليضمّ كل الناس.

في الختام، سنقتبس من كلمات القديس: "القديس المنفرد هو ظاهرة ثمينة للغاية للبشرية جمعاء. بحقيقة وجودهم - ربما غير معروفين للعالم ولكنهم معروفون لدى الله- يستمد القديسون من العالم، وعلى البشرية جمعاء، نعمة عظيمة من الله... بفضل هؤلاء القديسين -الذين لا يعرفهم العالم- تغيّر مسار الأحداث التاريخية، حتى الكونية. إذن، كل قديس هو ظاهرة ذات طابع كوني، تتجاوز أهميتها حدود التاريخ الأرضي إلى مجال الخلود. القديسون هم ملح الأرض وسبب وجودها. هم الثمر الذي يحفظ الأرض. ولكن عندما تتوقف الأرض عن إنتاج القديسين، ستُخذَل القوة التي تحميها من الكارثة"[١٧].

لهذا السبب، اعتَبَر الشيخ صوفروني الصلاة من أجل العالم بأسره علامةً على الحياة الأصيلة والمقدسة، حيث يقوم رجل الله، إذ توسعه نعمة الروح القدس، بإحضار كل روح خلِقَت منذ تكوين العالم أو سوف تولد حتى نهاية العالم.

معيار آخر للحياة الحقيقية والمقدسة عند القديس صوفروني هو المحبة والصلاة من أجل الأعداء. تدلّ هذه الظاهرة على حضور الروح القدس، الذي بدون نعمته لا يمكن لمثل هذه الفضيلة أن توجد في هذا العالم.

يشهد القديس صوفروني أن محبة الأعداء هي علامة حضور الروح القدس وحقيقة الله، العلامة التي تبرر الوجود العابر للإنسان وتقوده إلى الحياة الباقية التي تسود في حضن الثالوث الأقدس، الآب والابن والروح القدس.

[1] Archimandrite Sophrony (Sakharov), Περὶ Προσευχῆς (On Prayer) Ἱερὰ Μονὴ Τιμίου Προδρόμου, Ἔσσεξ Ἀγγλίας 1993, p. 90.
[2] Cf. John 14:6.

[3] Archimandrite Sophrony (Sakharov), Τὸ μυστήριο τῆς χριστιανικῆς ζωῆς (The Mystery of Christian Life), Ἱερὰ Μονὴ Τιμίου Προδρόμου, Ἔσσεξ Ἀγγλίας 2006, pp. 416-417.
[4] Ps. 63:7 LXX.
[5] Archimandrite Sophrony (Sakharov), Saint Silouan the Athonite, trans. Rosemary Edmonds, (Tolleshunt Knights, Essex: Stavropegic Monastery of St John the Baptist, 1991), p. 10.
[6] Matt. 6:5.
[7] Exod. 3:14.
[8] Archimandrite Sophrony (Sakharov), We Shall See Him as He Is, trans. Rosemary Edmonds, (Tolleshunt Knights, Essex: Stavropegic Monastery of St John the Baptist, 2004), p. 33.
[9] Ibid., p. 81.
[10] Ibid., p. 137.
[11] Cf. ibid., p. 105.
[12] He expressed himself in this way in a letter yet unpublished.
[13] Τὸ μυστήριο τῆς χριστιανικῆς ζωῆς (The Mystery of Christian Life), p. 416.
[14] Cf. Eph. 4:29.
[15] Τὸ μυστήριο τῆς χριστιανικῆς ζωῆς (The Mystery of Christian Life), p. 417.
[16] Cf. Phil. 3:12.
[17] Saint Silouan the Athonite, p. 223.

أصالة خبرة المسيحي المعاصر

الميتروبوليت نيقولاوس خاتزينيكولاو مطران ميسوغيا ولافريوتيكي

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

حديث الليلة هو محاولة للتعبير عن شيء يصعب وصفه بالكلمات. إنه محاولة لإعطاء خصائص ومعايير لشيء هو بطبيعته غير قابل للوصف كثيرًا، ولكنه يُدرَك بالأكثر بشكل غير مباشر وأكثر تخفياً. إنه شيء تشكّ فيه دون أن يكون واضحًا بما يكفي لمناقشته. يمكن تحديد النهايات، ولكن من الصعب حصر الخبرات ضمن الأطر اللفظية. هذا ينطبق بشكل خاص على وثاقة اختبار الإيمان والنعمة، والتي تتعلق بأعمق ما في الطبيعة البشرية، بحقيقتنا، التي هي السر الذي يتكشّف باستمرار. إنه ليس عرضًا أو تعبيرًا أو نمطًا من السلوك يتوافق معه الناس.

عندما تكون الخبرة أصيلة روحياً، فإنها تُظهر الجانب الإلهي للشخص الذي يمر بها، ولكن عندما يكون الأمر خلاف ذلك، فإنها تمنع نعمة الله من التصرف في حياته. هذا هو السبب في أن الأصالة هي شرط أساسي للحياة الروحية.

إذن كيف ينبغي مقاربة أصالة الخبرة؟ كيف يجب أن نحددها؟ كيف نشعر بها؟ بالتأكيد هذه ليست قضية فكرية. لهذا السبب، دعونا لا نركّز جهودنا على محاولة فهم ما سَيَلي، ولا ندوّن ملاحظات لئلا ننسى شيئًا ما. دعونا لا نُخضِع براءة عفويتنا إلى عملية تقييم مدرسي، للتأكد من أن كل شيء صحيح تمامًا. هذا الحديث ليس انعكاسياً بمعنى توليد أفكار جيدة أو وجهات نظر نقدية صحيحة. كما أنه ليس إقناعياً بمعنى أنه يضعنا بالقوة على طريق رتيب أحادي الاتجاه من التوافق المطمئِن المُرضي. سيكون الحديث بالأحرى بسيطًا ومن القلب، في محاولة لاستحضار مشاعر التمييز الشخصي في كل واحد منا. لهذا السبب ما سوف تسمعونه لا يقدمه المتحدث كمعرفة أو وجهة نظر، بل كفرصة للمشاركة.

إذاً، في سياق هذا الحديث فليرَ كلٌ منّا مَن نحن بالحقيقة. لا ينظرنّ إلى الصواب والخطأ في ما يقال، بل ما هي علاقتنا بالحقيقة. لا في أي عصر نحن نعيش، بل كيف نعيش وما هي مكانة المسيح في قلوبنا وكيف يتم تحديد المسافة بيننا وبين نعمته في حالتنا الخاصة. وأيضًا كيف تعمل رغباتنا، وكيف نحدّد أهدافنا، وما هو نذير دعوتنا "كأبناء لله" (رومية ٢١:٨)، كإخوة المسيح، كمواطنين في ملكوته وكضيوف على عشائه.

إن كلمات الرب في الإنجيل قاطعة تمامًا: " مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ" (متى ٣٠:١٢) ؛ " لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ" (متى٢٤:٦) ؛ "مَن أراد أن يتبعني فليحمل صليبه ويتبعني" (مرقس ٣٤:٨) ؛ و " إِنْ لَمْ

يَـزِدْ بِـرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَـةِ وَالْفَرِّيسِـيِّينَ لَنْ تَـدْخُلُوا مَلَكُـوتَ السَّـماوَاتِ" (مـتى ٢٠:٥).رفض الـرب حـق أحـد تلاميذه كإنسان في حضور جنازة والده (متى ٢٢:٨) ؛ تنبأ بآلام ومحاكمات لمن تبعوه (متى ١٧:٣-٣٤) ؛ ووبخ الفاتر (رؤيا ١٥:٣) ؛ طلب الشيء "الواحد" الذي كان مفقـودًا واقـترح الكمـال ("مَن اراد أن يكـون كاملاً") (متى ٢١:١٩، أفسس ١٣:٤، ويعقوب ٤:١).

الله مطلق. إنه يحوي ويمنح كل ما له اكتمال، بالإضافة إلى كيانه الخاص في شكل مثـالي. إنـه الكـائن، هو كل شيء. إن حق الله يملأنا ولكنه يتركنا أيضًا مع الشعور بأننا نتجاوز اكتمالنـا. إنـه شـيء أكـثر من ذلـك، لا يمكن أن نتبنّـاه كبشـر. بهـذا المعـنى، فـإن مـا يطلبـه الله من أتباعـه ليس تجـاوز القـوة في الصعوبات، إذ إن نعمته ستوفر ذلك، بل الموافقة الحقيقية والنوايا الحقيقية والقرارات المتّسقة. بهـذه الطريقة فقط نتوافق مع الله. بهذه الطريقة فقط يمكننا أن نسير على خطاه ونتعرف على مساراته.

في القراءات الإنجيلية، غالباً مـا نجـد الرسـل يثـيرون أصـالة خـبرتهم الشخصـية لكي يكونـوا مقنِعين. " اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَـاهُ بِعُيُونِنَـا، الَّذِي شَـاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَـتْهُ أَيْـدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ." (١يوحنا ١:١). "وَنَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ حَـقٌّ" (يوحنـا ٢٤:٢١). السـامريون [١] والسـابق المجيـد أيضـاً يستعينون بخبرتهم الشخصية[٢]. أصالة الخبرة هي الحجة الأكثر إقناعاً بما يقولون.

لذلك دعونا نرى ما معنى الخبرة الأصيلة في حياة المـؤمن. بطـرس موثـوق لأنـه حـتى عنـدما يسـقط يكون عفويًا. يسأل عن برهان فيدعوه الرب للسير على الماء. يتعثر ويبـدأ في الغـرق (مـتى ٢٨:١٤-٢٩). يعترف تلقائيًا بأن فم المسيح المقدس ينطق "بكلمـات الحيـاة" (يوحنـا ٦٨:٦). يحثّ الـرب على تجنب الآلام فيوَبِّخ ويقال له أن الشيطان يتكلم في داخله (متى ٢٢:١٦-٢٣). بتعالٍ يرفض السماح للرب بغسل قدميه ولكنه يعود فيرتضي ذلك بطريقة معـبرة بشـكل خـاص (يوحنـا ٥:١٣-١٤). يجـرؤ على قطـع أذن ملخس بعنف (يوحنا ١٠:١٩) فيوبخه الرب كما يجب قبـل أن تُعـاد الأذن بطريقـة عجائبيـة (لوقـا ٥:٢٢). ينكر الرب قبل الآلام مباشرة ويتوب (مرقس ٧٢:١٤). يسمع رسالة القيامة ويشك فيها ولهذا أسـرع إلى القبر لتأكيدها (يوحنا ٣:٢٠-٤). سقط وقام مجدداً. أخطأ وتاب. لم يتظاهر. بل كان ما بدا منه. كان أيضًا حراً عندما كان إنسانًا. أخطأ وصحح نفسه. لم يكن معصوماً من الخطأ، بل كان صادقاً.

ليس الناس الذين لا يرتكبون أخطاء هم الأصيلين، بل أولئـك الـذين يتعرّفـون إلى أخطـائهم، يعـترفون بها ويتوبون. إلى ذلك، الأشخاص الحقيقيون ليسوا عفويين في سلوكهم وحسب، بـل هم أيضًـا أنقيـاء في إيمـانهم. الإيمـان ليس أيديولوجيـة نـدعمها، ولا فكـرة نحتـاج إلى فهمهـا، ولا وجهـة نظـر يجب أن نقبلها. الإيمان ليس شعورًا، كما أنه ليس شعاراً أخلاقيًـا يجب أن نتوافـق معـه، ولا هـو تجربـة نفرضـها على أنفسنا نفسياً. إنه ليس هدفًا يمكن تحقيقه من خلال الجهـد البشـري. الإيمـان هـو النعمـة والحيـاة والحق، وهو يُقدَّم فيمتد وينكشف. الله يمنحه والله يظهره.

ونحن البشر لسنا رائعين لأننا نستطيع تحقيق الكثير، بل لأن الأشياء العظيمة يمكن أن تحدث لنا ويتم إعلانها لنا. كل هذا، مع ذلك، يفترض مسبقًا الصدق والحقيقة والأصالة. بدونها يظل أفق الروح مغلقًا أمام نعمة الله.

بالطبع ، عندما نتحدث عن خبرة أصيلة، غالبًا ما يبدو أننا نعني شيئًا غير ذلك. لذلك لنرَ بالضبط من هم المسيحيون الحقيقيون الأصيلون. في محاولة للإجابة على السؤال: "أي نوع من الناس يجب أن يكون المسيحيون؟" يقول القديس باسيليوس الكبير: "كتلاميذ للمسيح، مكرّسين فقط لما يرونه فيه أو يسمعون منه (متى ٢٩:١١؛ يوحنا ١٣:١٣-١٥)؛ كهيكل مقدس لله، مساكِن طاهرة ومليئة بالأشياء لعبادة الله (يوحنا ١٤:٢٣؛١ كورنثوس ١٦:٦)؛ كأبناء الله متجلّين نحو صورة الله بقدر ما يُمنح لنا هذا (يوحنا ٨:١٣ـ ٣٣؛ غلاطية ٤:٤٩)؛ كالملح في الأرض، بحيث يتجدد المشاركون في الروح ليكونوا غير قابلين للتلف (متى ٥:١٣)؛ كمثل كلمة الحياة، من خلال عدم اكتراثهم بأمور الحاضر التي تبدد رجاء الحياة الحقيقية (فيلبي ٢:١٥-١٦)" [٣].

ويتابع فيقول: "ما هو الخاص بالمسيحيين؟ إنه، تمامًا كما مات المسيح عن الخطيئة مرة واحدة وإلى الأبد، هكذا هم أموات وغير متأثرين بكل الخطايا... وأن لديهم ثروة من البِرّ في كل شيء... وأن يحبوا الآخرين كما أحبنا المسيح... وأنهم يتصورون الرب أمامهم في جميع الأوقات... هم يقظون في كل ساعة ويوم ومستعدون لإرضاء الله في الكمال، عالمين أن الساعة التي قررها الرب قادمة"[٤].

بحسب القديس يوحنا الذهبي الفم: "إذا كنت مسيحيًا، فليس لديك منزل على وجه الأرض. باني بيتنا وخالقه هو الله. وحتى ولو استقبلنا العالم كله، فسنبقى غرباء ومسافرين. نحن مسجَّلون في الجنة؛ هي منزلنا"[٥].

نواجه نفس الموقف المطلق عند الآباء النسّاك، وبالطبع في سلم القديس يوحنا السينائي. "المسيحي هو تقليد للمسيح، بقدر الممكن بالنسبة لنا، في الأقوال والأفعال، في فهم الثالوث الأقدس بشكل صحيح والإيمان الذي لا عيب فيه".

تكون الخبرة المسيحية أصيلة عندما نحب الصليب أكثر من الراحة، والجهاد أكثر من الانتصار؛ عندما نختبر ملكوت الله على أنه أكثر واقعية من أحداث التاريخ؛ عندما يكون إيماننا أقوى من المداولة الصحيحة؛ عندما نميّز الحق في الأسرار أكثر مما نفهمه؛ عندما نكون أكثر صلاة في الصعوبات التي نواجهها وأقل اهتمامًا بالتفكير فيها؛ عندما ندرك أن النعمة أكثر فعالية من جهادنا؛ عندما يكون إخوتنا وأخواتنا أقرب إلينا من أنفسنا؛ عندما نتمكن من تمييز الزائف من الحقيقي والخطأ من الصحيح، وإرادتنا من إرادة الله؛ عندما نرغب بالموت أكثر من الحياة.

المسيحيون الأصيلون يرتاحون للتقليد والعقيدة فيما عندهم أيضًا شيئ جديد وشخصي، شيئ خاص بهم: الاختلاف الذي يوحّد ويزيّن، لأنهم "الجماعة من الأمم، تلك المدعوة جبلاً محروثاً"... "لأن النفس المرتفعة بتعليم المسيح هي جبل".

في النهاية ، صورة الشخص الأصيل ليست شيئًا موجودًا ويجب علينا جميعًا تقليده، بل هي بالأحرى شيء غير موجود ويجب على كل واحد منا أن يبتدعه. إنها الطريقة التي يعبّر بها كل شخص عمّا هو مدعو إليه. الأصالة هي ما يدل على قداسة الإنسان وفرادته.

ما هي السمات المميِّزة للخبرة المسيحية الأصيلة؟

يمكننا أن نبدأ من نهاية الإصحاح الأول من إنجيل القديس يوحنا، ذاك القسم المتعلق بدعوة التلاميذ. هذا المقطع ذو أهمية خاصة، لأنه صورة لكيفية استدعاء المسيح لكل مسيحي على حدة، وفي النهاية ماذا تقدّم لنا نعمة الله ومحبته في الكنيسة فلك الخلاص. في هذا المقطع بالذات، تجري ثلاث مناداة، ثلاث دعوات لثلاثة تلاميذ. واحدة للرسول أندراوس، والثانية لفيليبس والثالثة لنثنائيل. أولاً، يستجيب الثلاثة للنداء بفيض من الحماس الروحي. يقول أندراوس: "قد وجدنا المسيح"؛ يركض فيلبس إلى نثنائيل ويقول: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء أيضًا، يسوع"؛ بينما يخاطب نثنائيل الرب ويقول: "أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل".

السمة الأولى التي يمكن التعرف عليها للخبرة الأصيلة هي الشعور بدعوة الله والاستجابة التلقائية لها، وهي ما يكمن في عنصر النفس غير الخبيث. على الفور وبشكل مباشر وبدون إعادة تفكير وبدون تردد وبدون عقلانية، تتعرف الروح على الشخص الإلهي وتستجيب لدعوته. كما قال الرب: "هوذا إسرائيلي حقاً لا غشّ فيه". لا يوجد مكر ولا حيرة ولا ارتباك ولا تعقيد. السمات التي كانت مهيمنة في قلب نثانيال هي النقاوة والبساطة.

ليست الحياة المسيحية اكتشافًا شخصيًا أو اختيارًا، بل هي استجابة جريئة للدعوة الإلهية. هي ليست طريقة حياة بل حالة نعمة. إنها لا تنتج أشخاصًا صالحين بمعايير مناسبة وشخصيات حسنة، بل هي دليل على محبة الله لنا وعلى مصيرنا الإلهي.

في سنكسار سحر عيد القديس أندراوس، نقرأ أن هذه التدفقات الروحية العفوية هي نتيجة روح "كدح" "تنتظر حضوره". يقودنا هذا إلى خاصيتين أخريين: أولاً، رغبة مؤلمة واشتياق إلى الله، وشعور بالحاجة إليه؛ وثانياً توقّع مجيء الرب وافتقاده.

ألم النفس هذا والشوق الداخلي والترقّب، التوقع العويص والأكثر عمقاً، ما يسميه الآباء "التهام" الروح، والاستعداد الدائم لمجيء الرب وافتقاده لكي يغيّر روحي ويدخل إلى حياتي، يغيّر ويبدّل

ويحوّل ويجدد مواصفات حياتي الخاصة، والسِمات المحددة لشخصيتي. هذه السياقات هي دليل على خبرة مسيحية أصيلة.

ليس التغيير هو ما يسبب الخبرة المسيحية الأصيلة. قد يؤدي ذلك بنفس القدر إلى الكبرياء والغطرسة. إنما هو الشخص (شخص المسيح) الذي يُحدث التغيير، وهو ضمانة الخبرة وإثبات عظمتها المتوافقة، فهو الذي يتجلى في داخلها.

عند هذه النقطة، تجدر الإشارة إلى أن حماسة الرسل لم تكن مجرد تعبير عن الفرح والاندهاش أو حسن النية، بل عن أنها حائزة على سمات اعتراف كبير بالإيمان، وهو اعتراف تحمله الكنيسة بين يديها ككنز. لقد اعترفوا به منذ البداية على أنه الله: أندراوس اعترف على أنه المسيح؛ فيلبس على أنه الذي كتب عنه موسى والأنبياء؛ ونثنائيل على أنه ابن الله الحي، ومسيحه. وليس هذا فحسب. فقد تقدموا أبعد من ذلك: شاركوا إيمانهم مع الأشخاص في دائرتهم. نشروا الرسالة على الفور وجعلوها عامة. أندراوس "جلب بطرس إلى يسوع"؛ فيليبس أخبر نثانيال: "تعال وانظر"، تعالَ وتذوّق بنفسك. هذه الميزة المتمثلة في مشاركة كنز محبة الله التي تنبع في داخلنا والتي يتمّ التعبير عنها على أنها أرقّ وأروع تعبير عن محبتنا للآخرين ولإخوتنا وأخواتنا هي سمة أخرى مميِّزة للخبرة المسيحية الأصيلة.

سننتهي بخاصية أخرى من هذا القبيل: الاستعداد للمعاناة. كل هؤلاء التلاميذ استشهدوا. ختموا دعوتهم بشهادة الدم. فيما كانت البداية سهلة وتقبّلوا "على الفور" رسالة الرب ودعوته، كانت النهاية بنفس السهولة: لقد أظهروا صلابةً حتى أنهم سفكوا دماءهم بكل سرور من أجله. لقد أعطوه حياتهم، وبقدر ما تبعوه في كرازته الأرضية، رافقوه عن طيب خاطر إلى مملكته، متّحدين معه إلى الأبد.

إن أصالة الخبرة لا تُحدَّد بتفخيم العبارات أو الإثارة المبالغ فيها أو الصدمة المباغتة أو المفاجَأة أو الإعجاب الدنيوي. الخبرة المسيحية سرّية، عميقة وداخلية. خبرة المرأة الكنعانية التي قبلت مقارنة الرب لها بالكلاب. خبرة زكا الذي اعترف علنًا بجِنَحِه. خبرة المرأة النازفة الدم التي سحبت القوة خلسةً من الرب. هذه كلها أمثلة على الأصالة. لم ينتبه أحد لهؤلاء الناس، ولا حتى التلاميذ. لكن الرب سمع صراخ المرأة الكنعانية، هو نفسه رأى زكا ودعاه، وهو شعر بلمسة المرأة النازفة الدم. ولهذا ميّز المرأة الكنعانية، متجاوزًا التلاميذ في القيام بذلك؛ كيف تبيّن زكا وسط الجمع. وكيف استشعر بلمسة المرأة النازفة الدم وفرزَها عن الآخرين. الخبرة الأصيلة مقنعة وحاسمة حتى في أصعب الظروف وأكثرها خطورة. إنها تلفت نظر الله إليها، وتنتقي الناس حتى لو كانوا مختبئين جزئيًا في الحشود، أو في لامبالاة العالم أو انعدام شأنهم.

المسيحي الحقيقي مطمئن ولا يخشى شيئًا، يؤمن بسهولة ويتعاطف ويتفهّم وينشر جوًا من اليقين والشعور بالطهارة.

سمات ممكن تمييزها للخبرة المسيحية غير الأصلية

تنتِج الخبرة غير الأصيلة مسيحيين، بدلاً من أن يخلُصوا في الكنيسة، يشعرون وكأن عليهم أن يخلّصوا الحق. بدلاً من تمييز وجه المسيح في إخوتنا وأخواتنا المسيحيين، نرى خصومًا يجب أن نتغلّب عليهم، أو نرى "شعبنا"، الذين يجب أن يدعموا آرائنا. بدلاً من أن نعهد بحالة روحنا إلى قوة نعمة الله، فإننا نضعها، بإهمال لا يغتفر، تحت تصرفِ مبضَع أساليب العلاج النفسي المشبوهة، أو التقييمات العلمية أو التوقعات العقلانية. بدلاً من تغذية روحنا بتواضع القلب، نغذيها بردود المعرفة والعقل.

في التحديات الأخلاقية الحيوية الحديثة التي تمس حياتنا وتغزو روتيننا اليومي، لا نميّز المحبة التي تحرر ولا النظرة الأساسية التي تأخذنا إلى مجالات من نوع مختلف من المنطق. بدلاً من ذلك، نحن نصرّ بخنوع على التحذلق القانوني الذي يخنق النعمة؛ أو نلجأ إلى تسويات دهرية تبعد النعمة تمامًا. بدلاً من العمل كخلايا مخفية في جسد المسيح الروحي، نرى الكنيسة كنادٍ بأعضاء وكتاب قواعد وحقوق وواجبات؛ كمنظمة بحاجة أن نعطيها مساعدة أكبر من التي يقدمها الآخرون.

لهذا، بدلاً من أن نعيش في الكنيسة كما في قبر دائم يولّد قيامتنا بتواضع عميق وميل إلى التضحية والاستعداد لتقديم التنازلات والاحترام والتقدير للآخرين والتسامح والإيمان بنعمة الله وحدها، فإذ بنا نسلك كما لو أننا نعبر، بمنظور أرضي مع مطالب وحقوق وحساسيات غير منضبطة وأنانية مستخفية ونفاق زائف ومصالح ذاتية تافهة ومقارنات حمقاء ومشاحنات عَرَضية وانعدام الأمان والشعور بالتفوق، والتسويات الملتبسة والبؤس النفسي والدهرية غير المبررة.

إن الأكاذيب التي نقولها لأنفسنا، والمبررات غير المقنعة، وصعوبة قبول النقد وما يصاحب ذلك من سهولة واستعداد لإدانة الجميع وكل شيء بشكل سطحي تمامًا وعادة بمعايير قاسية وعديمة الشفقة، كل هذه تخون قصر نظر مذنب الذي كمنتصر يظهِر نقص حريتنا غير المقبول.

هذا النوع من المقاربات يجعلنا نخترع إلهًا مشكوكًا فيه بحد ذاته. إله يبطل نفسه باستمرار؛ إله يشبه إلى حد كبير بنية نفسية تتميز بالاعتلال والنقص؛ أو ملجأ أيديولوجياً يتميز بعدم الثبات والانتهازية الروحية؛ إله ليس أبًا يحبنا، بل خادم لحلّ مشاكلنا التافهة؛ إله ليس موجودًا ليدعمنا، بل إله اخترعناه لنقدم له الدعم؛ إله غير موجود ولا يستحق بالطبع إيمان أي شخص.

تقودنا هذه النظرة إلى كنيسة هي خليقتنا وليست خليقة الله. فيها أخطاء آلهة أوليمبوس الاثني عشر ومصداقية المنظمات الاجتماعية أو التأمل التجاوزي. إنها آلية تستوعب لفترة، وتشكل جزءًا من تجمع

اجتماعي، وتخفي عظمة الجنس البشري وتنهي إمكانية تحقيق شبه الله. مثل هذه الكنيسة لا تستحق ثقتكم ولا يمكن أن تستحقها. كل ما عليكم فعله هو الاعتراف بذلك مباشرة.

إثم الزمان الحاضر

في منطقنا غير الطبيعي و "غير المنطقي"، يبدو أن كل شخص لا يتحمل المسؤولية الكاملة فردياً. يكمن الثقل الرئيسي في طبيعة النظرة الاجتماعية السائدة القوية وغير الشخصية والأوقات المسعورة التي نعيش فيها. هذه الأوقات لها العديد من الخصائص وبالتأكيد تثير إنجازاتها الإعجاب. لقد حدد عصرنا، من تلقاء نفسه، حدودًا مدهشة يواصل أيضًا العمل لبلوغها. لقد كسر حواجز جاذبية الأرض. لقد أنتج أشخاصًا بسِمات غير معروفة حتى الآن، بأعضاء اصطناعية أو حيوانية، أو بأجزاء من أشخاص آخرين. لقد صنع أنواعًا لم تكن موجودة من قبل. يغير الطبيعة ويلغي قوانينها. يدخل الجسد، ويؤثر على الروح، ويخلق النظرات والعادات، ويحدد السلوكيات. يسافر مسافات لا يمكن تصورها ويدخل أصغر العوالم بوسائل وسرعات وطاقات تفوق كل الخيال. ومع ذلك، فإن سمته الرئيسية هي أنه يعارض الأصالة والنزاهة والحقيقة.

إنه يبتكر وينتج العديد من "الأشباه". غالبًا ما تكون غرف الرسم لدينا مزينة بالورود التي تبدو حقيقية، لكنها ليست كذلك. تظهر استوديوهات التلفزيون خلفيات غير موجودة. يشير المعلنون إلى عوالم لا علاقة لها بالواقع. يرسم الناس أنفسهم ويتظاهرون بل ويخضعون لعملية جراحية من أجل تقديم شخصية غير حقيقية أو جنس لا يتوافق مع هرموناتهم وخصائصهم التشريحية. الإباحية والصورة المثيرة للإعجاب، كما تحكّم "المظاهر" هي السبب في تدمير "الجوهر"، فضلاً عن الحضور الخفي لـ"الوجود".

كلّ هذا أثّر في كيفية رؤيتنا للأشياء وإعطاء شكلٍ زائف لحياتنا الروحية أيضًا. غالبًا ما نتحدث نحن المسيحيين عن تألّق العلم الذي يفترض أنه يتفق مع الدين، وقيمة الديمقراطية التي تسمح للكنيسة بالعمل بحرية، وحقوق الإنسان وكأنها أعظم القيم. ومع ذلك، نعلم جميعًا أن العلم جعلنا أكثر غطرسة من أي وقت مضى، لأننا، مكانَ الله، وضعنا صنم الإنسان الذي يعبد نفسه؛ أصبحت الديمقراطية بديلاً عن إرادة الله والمسؤول هو خياراتنا البلهاء. حقوق الإنسان وضعت جانبًا أحد حقوق الله: التدخل في حياتنا والعمل كإله.

وهكذا انتهى بنا المطاف كمسيحيين نحاول تحقيق شيء ما بأنفسنا، ونجد صعوبة في إيداع ذواتنا لنعمة الله. نحن مسيحيون نحاول بمفردنا اكتشاف أسرار الله، بدلاً من الانتظار بصبر، إلى أن يكشف لنا مجده. نحن مسيحيون نسعى للاستجمام والسكينة، لكننا جهّال بتجربة السلام الداخلي. نحن مسيحيون عندما نقول كلمة "محبة"، نعني نوعًا من المودة الأنانية أو الارتباط المرضي، لأننا نرفض

الاعتراف فيها بالحاجة إلى الصبر والتسامح تجاه الآخرين أو كلفة التضحية بدلاً من خديعة التمتع الأناني.

بكاملها انتقلت هذه الطريقة في رؤية الأشياء إلى عبادة الكنيسة. في أديرتنا نصنع تطريزًا طقسيًا يبدو يدويًا، لكنه ليس كذلك. تحتوي الأثواب والأواني المقدسة على أحجار لامعة تشبه الأحجار الكريمة في الطريقة التي تتلألأ بها، ولكنها لا تشبهها من حيث القيمة الموضوعية. أيقوناتنا تذكارات للأوقات الماضية، لكنها موجودة على الورق، بدون ألوان أو تكلفة، وبدون جهد أو محبة أو ابتكار أو وقت. نحن نصوّر ونشرح بالتفصيل ما يقوم به كهنتنا، لكننا نواجه صعوبة في التعرف على حضور الله في طقوسنا الأسرارية. نطلق على رحلاتنا اسم "الحج"، ولكن روحنا تعجز عن أن تشق طريقها إلى برية الله للقائه. نزور الأماكن المقدسة، دون أن تظهر زيارة الروح القدس في حياتنا. نحن راضون عن "الحركات الخارجية" ولا ننشّط "حركاتنا الداخلية". نحن ممتلئون بالمعرفة اللاهوتية عديمة الفائدة والتي عفا عليها الزمن، لكننا فقراء جدًا في التجربة الروحية الثمينة. هذا هو السبب في أن عبادتنا، التي لا سابق لروعتها الطقسية، هي أعياد أكثر منها سرّ. إنها تميل نحو المشهد أكثر من الصلاة.

إن ثمرة أصالة القديسين هي تأليفهم لنصوص عميقة للغاية، لم يظهر الكثير منها إلا بعد أن رحل القديسون الذين كتبوها عن هذه الحياة. تأكيد ما يسمى بأصالتنا هو أننا نقرأ شهاداتهم أو نناقشها في غرف جلوسنا المريحة، على الرغم من غياب أي شهية للنسك أو إماتة الأهواء الشخصية أو التضحية. قراءة النصوص المقدسة، بدلاً من أن تكون لنصير متواضعين، نستخدمها للحكم على إخوتنا وأخواتنا أو تشويش واقعنا بأحلامنا بإرباك.

لقد غذّى القديسون حياتهم في الألم بالمناولة المقدّس. نحن نستعرض روحانيتنا الدهرية وتبريرنا للذات بتقليدهم في تواتر المناولة، ولكن ليس في أصالة التوبة والإيمان. المعرفة الفكرية التي يتم التعبير عنها بالتوترات والنشر حلّت محل الوحي الاختباري الذي يتم تأكيده بالصمت والهدوء الداخلي والدموع. إننا نتقيأ القديم لتبرير وجهات نظرنا وآرائنا، مع أنا نواجه صعوبة مع ظهور معرفة جديدة تواضِعُنا فيما تعانق إخوتنا وأخواتنا.

لذلك، غالبًا ما تظهر الروحانية المعاصرة بواجهة مخادعة. في الجوهر، هي ليست أكثر من تديّن عقلاني وتقليدية مقلِّدة مخفية وراء تعلّق مريض عاطفيًا بالأشكال والقواعد والأنماط الخارجية والعادات والأشخاص، يتمّ التعبير عنه كَنَزعة محافِظة رخيصة. كل هذا يؤدي إلى فضائل زائفة تخدعنا وترضي الشيطان وتجرح الله. في داخلنا، هي تثير أهواء وضعفات لا تغتفر، وتغذّي القسوة والنفاق وتسمّي نفسها الإيمان والخبرة الأصيلين. ومع ذلك، لا علاقة لها بروح الله وتقليد كنيستنا. كل

ما تفعله هو خلق مسيحيين ذوي أصالة زائفة، لأنها تحوّل الإيمان إلى ضلال واستهزاء وتقلِب الخبرة إلى ارتباك ووهم.

لهذا السبب كثيرًا ما نشكو من أننا مظلومون، ونواجه صعوبات ومطالب مفرطة مفروضة علينا وأعباء لا تطاق يجب أن نتحملها، ومن الإرهاق الروحي، ومن حقيقة أن الله أصم وأن الآخرين من الناس لا يفهموننا. هذا يولّد شعوراً بأن المعجزات لا تحدث، وأنه لا يوجد قديسون، وأن الخلاص صعب. وهذا بدوره يولد الشكوك والأوهام والانهزامية وعدم الرغبة في الكفاح. بشكل عام، إنه يغيّر وجه المسيح فينا. إنه نتيجة طبيعية لوجود أشخاص نظرتهم مشوهة وقد فقدوا الأصالة. أكبر خطر في عصرنا هو أن خبرتنا فقدت طبيعتها الحقيقية، وأنها أكثر فقراً من حيث الأصالة، وفي النهاية هي متغرّبة عن الحقيقة.

عظمة الإنسان "الجديد"

نحن بحاجة إلى خبرة نعمة الله الأصيلة، تمامًا مثل كل مسيحي في تاريخ الكنيسة. إنما في هذا الزمان يبدو الحصول عليها أكثر صعوبة.

تعالج هذه الخبرة عظمة الإنسان "الجديد"، أي الشخص الذي تحوَّل إلى حالة هو فيها مع بقائه إنساناً ليس... إنسانًا. إنه إنسان على شبه الله، على شكل إله، إنسان إلهي-بشري. السيد الإله-الإنسان كان إلهًا كاملاً وإنسانًا كاملاً. إن لم يصر الإنسان-الإنسان إلهًا لا يكون سوى مجرد بشر. من "الإنساني" يحتفظ بالطبيعة ويرفض هيمنة المصطلح الآفِل، ومن "الإلهي" يُحرَم من الطبيعة ويوافق النعمة بتواضع. كل هذا يعني أن المسيحي الحقيقي هو إنسان بامتياز. إنه يبرز طبيعته البشرية ويكرمها ولا يحتقرها ولا يخجل بها ولا يظلمها. لهذا السبب يفهم نقاط ضعف الآخرين ونقاط قوته. الإنسان صغير وكبير في نفس الوقت. في حين أنه ينقص "قليلاً عن الملائكة" فهو أيضًا "كالعشب أيامه"، إذ "الإِنْسَانُ فِي كَرَامَةٍ لاَ يَبِيتُ. يُشْبِهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ".

الإنسان عميق وواسع في نفس الوقت. إنه لغز لا يمكن حله بحد ذاته ولكنه رحيب للجميع. لحياته الحق والمحبة وله حرية القبول وحرية التضحية. لهذا السبب هو محسن للغاية وشركوي. لا يخلُص وحده ولا يتناول الخلاص. يمكن أن يفرغ من أنانيته وأن يتحد بالله وبإخوته.

إلى هذا، الأصالة تساعد المسيحي على السلوك باستمرار على الحافة بين الله والإنسان، بين المنطقي والأسراري، بين المحبة الإلهية والألم البشري، وبين الحرية والطاعة. تلهمه الأصالة على السلوك ما بعد المساحة الشخصية والمقاييس البشرية والزمن الكوني والأنا. في هذه الحدود يختبئ الله. في هذه التالية يلتقي الإنسان بالأخ والأبدية والنعمة والحق والله نفسه.

عندما نتحدّى عقلنا يولد الإيمان. عندما نخاطر بعاطفتنا تأتي النعمة. عندما ننكر إرادتنا نعيش محبته لنا. عندما نقلّص ذاتنا يقوم الله فينا بالقوة.

الخبرة الأصيلة هي القداسة، الشهادة، الرسولية، النبوية. ليست بدون جهد، عرق، دم، ألم، شهادة، واعتراف متواضع. المسيحي الأصيل يعيش الفرح من خلال الجهاد والحرمان والتضحية. يعيش الرجاء من خلال الألم والمرض والبرهان الخفي لنعمة الله والتوقع الدائم للعلامة التي لا يطلبها بل ينتظرها وعندما تأتي لا تفاجئه. إنه يعيش التواضع ببركاته وأفراحه. هذه كلها مبنية على الإيمان.

في وجه الأخ يلتقي المسيح نفسه. بجانبه يتواضع ويحتمل ويفرغ ذاته. يشاركه السقوط، الإيمان، الحياة، النعمة والخلاص. إنه يتحد به. الاختلافات تؤكد الحرية، والتنوع يؤكد فرادة كل شخص كصورة لله. التناقضات تخزي والقواسم المشتركة تسهل المعايشة. الخطايا والتجارب والفضائل والتدخلات الإلهية في حياة المرء تجتاح حياة الآخر. كل شيء مشترك "لا يخلص ما لم يكن قرب أخيه". أساس هذا الموقف هو المحبة.

لكن المسيحي الأصيل يميز بوضوح بين غرور العالم، ميوعة الزمن وزواله، قابلية المواد للتلف، وخداع "هنا" و "الآن"، وهمجية الطرق البشرية، وثخانة العقل السليم. لهذا هو يعمل دائماً في "الآتي". "إنه يعيش على الأرض ولكنه مواطن في السماء". بدلاً من الحاضر يعيش الأخير وبدلاً من هنا يتغذّى من السماء. هذه العقلية يغذيها الرجاء الإلهي. الإيمان، الرجاء، والمحبة" هذه الثلاثة هي أساس الخبرة الأصيلة لكل مسيحي. هذه الثلاثة هي التي تؤلّف المنطق "الآخر". هذا المنطق يجعل الإنسان خفيفاً ونبيلًا بطبيعته، ومتواضعًا في أخلاقه، ومستتراً في اختياراته. إنه يصير ثاقباً ومتبصراً وشفافاً. "يَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ لاَ يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ". على وجهه ينعكس الله، وفي داخله نور نعمته. أنت تراه فتعترف بأن "الرب حي". الإله الحقيقي حي، وهو الذي لا يُرى بالجسد ولا يُفهم بالتمعّن.

في الوقت نفسه، إنه كثير لأنه دائمًا شامل وكامل ومع الجميع. أنت تعيش بجانبه لكنك تشعر معه. لأن خبرته تتشكل من "ليكونوا واحداً". هو ليس وحيدًا أبدًا وليس فقط مع البعض ولا حتى مع القليل بل عنده مساحة للجميع. الله يسطع فيه.

هذه الأصالة هي ما لا يجعل المسيحي "معاصراً " دنيوياً؛ مقلِداً سطحياً وداعماً سلبياً لعادات العصر الذي يعيش فيه. هو "معاصر" بمعنى تجسد رسالة الله الخالدة في الحاضر. إنه يجسّد تقليد الكنيسة ولكن أيضًا صورة أبديتها. إنه الإنسان البارز الذي يربط "الجمال القديم" "بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا". جمال ومجد لا يُظهران عظمة الإنسان فحسب بل يشيران قبل كل شيء إلى الجمال الإلهي "أفضل من كل البشر" وإله الثالوث "الفائق التمجيد".

الأصالة والحقيقة حتى لو كانت تخضع لضعف الإنسان ونقصه وعدم كماله، هي الطريق إلى الكمال والقداسة. على العكس من ذلك، فإن العقل المشوَّه والتنازلات والصورة المجمَّلَة الزائفة تخنق قوة نعمة الله وتجعل الإنسان غير مُكتَنَفٍ بسرّ الله وألوهيته.

بهذا المعنى، لا يعود الإنسان الأصيل نموذجًا للكمال الأخلاقي فحسب، بل يتحول بشكل أساسي إلى وعاء إعلان للحقائق العقائدية. إنه يعيش حالته البدنفسية (psychosomaticity) وتناغم الطبيعة البشرية ومصيره الإلهي بحسب المسيح. إنه يختبر تكوين ثالوث روحه وشركة المحبة مع الإخوة في الثالوث. إنه يعيش ويعلن عن التدبير الإلهي بكامله، وتنازل التجسد الإلهي، والإعلان الثالوثي في المعمودية، وإشراق التجلي الإلهي وتبدّله، وعمق إعلان العشاء الأخير والمجد الإلهي، وإفراغ الذات في الآلام، وتجديد وتغريب الكل في القيامة، وتأليه الطبيعة البشرية بالصعود، وانسكاب المواهب المقدسة في العنصرة، وولادة ومسار العهد الكنسي في محيط التاريخ وأخيراً رجاء الحياة الآتية.

كما أن طهارة العذراء مريم وبتوليتها هما الشرط الأساسي لمشاركتها في سر التدبير الإلهي، بنفس الطريقة، فإن عذرية الحكمة، أي الأصالة، تجعل المسيحي قادرًا على المشاركة في سر التجسد.

المسيحي الذي يتقلقل من الشطارات العقائدية، ولا يلتهب من إعلان الأسرار، ولا يستعر من الشوق الإلهي، ويسيطر عليه التعالي، ولا يشعر بعلامات حضور الله، ولا يدرك بصمات قوته، فليس عليه ختم الله. الله بالنسبة له هو احتمال، كائن مجرد، قوة فائقة، المجهول الفلسفي، النموذج الوجداني، ومكمل الفراغ النفسي.

خاتمة

إن أعظم نماذج الخبرة الأصيلة في سير القديسين لكل مسيحي في كل عصر هما الجدّان الأولان اللذان كانا كالأطفال وتلاميذ الرب. لذلك يمكننا أن نقول أن في الواقع مَن يستعيد سمات الجدّين الأولين، تصير تعابير الأطفال الصغار وخصائص تلاميذ المسيح أصيلة عنده. "إن لم تعودوا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت السماوات".هذه الصيغة وحدها تظهِر أن العودة إلى هذه الحالات هي مَصْل الحياة الروحية وشرط للخلاص.

العاري أصيل، إنه الإنسان الذي يظل مكشوفًا، غير محمي، بدون دفاعات ودروع، كالجدّين الأولَين قبل السقوط؛ كالرسل. كلما فهمتَ جهلك بتواضع - ما لا تعرفه وما لا تستطيع أن تتعلمه - كلما اقتربت أكثر من الإحساس بالسرّ والكشف عن المعرفة الحقيقية. لأن المعرفة هي التواضع والنعمة، وليست الفهم والقدرة.

إذاً، الإنسان الأصيل هو الذي لا يرى يد الله في كل مكان فحسب، بل يشعر دائمًا بلمسته. لقد نحته الله مثل أول مخلوقات الفردوس. إنه يتجدد، ويعاد تشكيله، ويشعر بنعمته الإبداعية. في الوقت نفسه،

يقبل حضور الله المحب، وعناقه مثل الأطفال الصغار، ويختبر دفء محبته. أخيرًا، يعرض الله عليه أن يلمس كما الرسل. إنه يستقرئه ويثبته دائماً. التجديد يؤدي إلى "إصلاح الجمال القديم"، إلى عيش الكلمة الإلهية كحالة حميمة حيث يمنح العناق موهبة اللاهوت، ويقدم اللمس تأكيد الإيمان والخبرة الشخصية.

الأصيل يستعلن الله له

قد يكون ما سمعتموه خلق شعوراً بالمبالغة. أو ربما ترك صدى من الإحباط أيضاً. نحن غرباء جداً، بعيدون جداً عن كل هذا! لكننا أيضًا قريبون جدًا وأنسباء جدًا. كل هذا موجود في الطبيعة البشرية. إن كنيستنا تدعونا ببساطة إلى معرفة كياننا، ولإيجاد بدايتنا كبشر، كأشخاص، كمسيحيين، لنصبح من جديد أوَّلِيين كالجدين الأولين، أبرياء كأطفال صغار وعفويين كالتلاميذ. في النهاية، لم يكن الهدف من هذا الحديث تقديم موقف ممكن تقليده، خبرة أصيلة، بل تقديم معيار للمقارنة ومادة للاتضاع، فكر أصيل.

Source: Ομιλία στο Τομέα Επιστημόνων του Συλλόγου ιεραποστολικής Δράσης «Ο Μέγας Βασίλειος» 12-10-2003. http://www.pigizois.gr/pneumatikoi_logoi/afthedikotita.htm

الحدود بين الأرثوذكسية والبدعة عند القديس غريغوريوس بالاماس

الأستاذ جورج مانتزاريذس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في الأحد الأول من الصوم الكبير، تحتفل الكنيسة بانتصار الأرثوذكسية على البدع. الحدث التاريخي المحدد وأساس ونقطة انطلاق هذا الاحتفال كان انتصار الكنيسة على محاربي الأيقونات الذين أعلنوا أن استخدام الأيقونات ضد المسيحية. ما كانوا ليقبلوا تكريم أيقونة المسيح ولا الإكرام الممنوح للأيقونات الأخرى أو ذخائر القديسين. لم يكن موقفهم هذا سطحيًا، بل جاء من رفض أكثر عمقًا لتصوير المسيح، ما أدى في النهاية إلى إنكار تجسده ووجوده في العالم كإنسان حقيقي. الطريقة التي انتهى بها الصراع على الأيقونات تظهر طبيعة هذا الصراع الهرطوقية. لقد كان حقاً بدعة.

الهرطقة ليست رأيًا لاهوتيًا خاطئًا. كما أنها ليست سوء تفسير لبعض النقاط في الكتاب المقدس أو في تقليد الكنيسة. كما يشير أصل الكلمة، أنها اختيار جزء معين من الحقيقة اللاهوتية وجعلها مطلقة [تأتي كلمة "هرطقة" من الكلمة اليونانية "لرفع" أو بالامتداد "للاختيار"]. بمعنى آخر، الهرطقة تقسم الحقيقة إلى أجزاء وتختار جزءًا معينًا منها، وتجعله مطلقًا، وبهذه الطريقة تشوّه الحقيقة بأكملها وتحتقرها. عندما علم أريوس، على سبيل المثال، أن المسيح كان إنسانًا كاملاً، لم يكن يكذب. كان يقول الحقيقة. لكنه لم يكن يقول الحقيقة كاملة، بل جزءاً منها فقط. لقد أغفل أن يقول أن المسيح كان أيضًا إلهًا كاملاً. وبهذه الطريقة شوّه وأهان الحقيقة الكاملة عن المسيح. ولم يعترف بالاتحاد بين الطبيعة الإلهية والبشرية في شخص المسيح، الذي هو أساس اتحادنا بالله، أي اتحادنا وتمجيدنا. لقد قاوم أسس المسيحية وأنتج بدعة.

لذا فإن جوهر البدعة، في ما يتعلق بالمسيحية، يكمن بالتحديد في أي مناهضة للاتحاد بين الله والبشر، وهو اتحاد يقوم على شخص المسيح باعتباره إلهًا وإنسانًا. بعبارة أخرى، البدعة تشكك بقدرتنا على الخلاص، أي تمجيدنا. إن تمجيدنا أو تألهنا هو الغرض من خلقنا. لقد خلقنا على "صورة الله ومثاله". نحن خليقة الله وعلينا أن نكون مثله: آلهة. بالطبع، ليس من حيث الجوهر، بل بالنعمة كما تصوغها اللغة اللاهوتية. لكن هذا أصبح مستحيلاً بعد تمردنا على الله وخضوعنا للخطيئة. إن العودة إلى الشَبَه هي تمجيدنا، خلاصنا.

إن مجمل التاريخ المقدس للعهد القديم، والذي يُتوّج بتجسد الله في المسيح، يكشف عن عمل العناية الإلهية من أجل خلاص العالم. والكنيسة هي البيئة الروحية التي يبدأ فيها خلاصنا.

كتحدٍّ لهذا الخلاص، قدمت الهرطقات نفسها في تاريخ الكنيسة على مستويين: مستوى الخلاص الذي منحنا إياه الله، كما كان الحال مع الدوسيتية، الآريوسية، النسطورية، التوحيد ، إلخ ؛ ب) على مستوى الطريقة التي نتلقّى بها هذا الخلاص ونفهمه، كما في مذهب البرلعامية الذي عارضته الكنيسة، بشكل رئيسي من خلال القديس غريغوريوس بالاماس.

البدع القديمة هاجمت الخلاص بالدرجة الأولى، أي أساس منح الله الخلاص للبشرية. إذا كان المسيح ليس كائنًا بشريًا حقيقيًا، فلم يكن لديه جسد بشري حقيقي، بل مجرد مظهر جسد، كما يزعم أقدم الهراطقة، أي الدوسيتيون الذين عارضهم القديس يوحنا الإنجيلي؛ لو كان مجرد إنسان، كما ادعى الأريوسيون فيما بعد؛ أو الله فقط كما علم أتباع الطبيعة الواحدة؛ أو إذا كان إلهًا وإنسانًا، ولكن بطبيعتين منفصلتين لم تتحدا في شخص واحد، كما ادّعى النساطرة؛ أو حتى لو كان إلهًا كاملاً ولكنه ليس إنسانًا كاملاً كما أعلن الأبوليناريون، فلن تكتمل مهمة خلاصنا إلى الآخر.

كما يعلمنا الكتاب المقدس وآباء الكنيسة، نحن نخلص عندما نُقبَل في الله، وعندما يعاد وصلنا من جديد بمصدر حياتنا واتحادنا به. كل الهرطقات القديمة تنكر، جزئيًا أو كليًا، إيمان الكنيسة وتعاليمها. وبهذه الطريقة تحدت خبرة أعضائها التي اختبروها منذ البداية: أن الشركة مع المسيح، والاشتراك في جسده ودمه هما في الواقع شركة مع الله، واشتراك في الحياة الإلهية.

كان اضطهاد الأيقونات نوعًا من التلخيص والإيجاز للبدع القديمة. استمرت فترة اضطهاد الأيقونات لأكثر من قرن (٧٢٦-٨٤٣) وشهدت هذه المرة عودة مجموعة متنوعة للكثير من البدع السابقة. لهذا السبب، في عيد الأرثوذكسية، هناك ذكر لإدانة جميع البدع وإعلان إيمان الكنيسة الذي لا يتزعزع على مدار تقليدها المستمر: "كما عاينت الأنبياء كما علّمت الرسل كما تسلّمت الكنيسة كما اعتقدت المعلمون كما اتفقت آراء المسكونة معاً... هكذا نعتقد هكذا نتكلّم هكذا نكرز" (سينوذيكون الأرثوذكسية).

كانت الحرب على الأيقونات شكلاً من أشكال الإيديولوجيا الدينية التي ألقت بظلالٍ من الشك على حقيقة تجسد الله، ورفضتها في النهاية، فيما هي شرط أساسي لتجديد العالم وتمجيدنا. إذا كان المسيح لا يمكن تصويره، فهذا يعني أنه لم يكن إنسانًا حقيقيًا. تعلن أيقونة المسيح وتؤكّد على حقيقة التجسد الإلهي. إنها تبرز حضور الله الذي جاء إلى العالم ليخلصنا.

جميع البدع القديمة التي ظهرت في الألفية الأولى بعد المسيح عالجتها المجامع المسكونية السبعة. إن انتصار الأرثوذكسية، الذي تحتفل به الكنيسة في الأحد الأول من الصوم الكبير يُقدَّم على أنه انتصار على هذه البدع التي زرعت الشك بخلاصنا الممنوح لنا من الله.

الأحد الثاني من الصوم الكبير هو امتداد ليوم أحد الأرثوذكسية. في هذا الأحد، نحتفل بالانتصار على نوع آخر من البدع. إنه النوع الذي يشكك بخلاصنا من الدرجة الثانية، اي في الطريقة التي نتلقّى بها الخلاص ونقبله. كان بطل الكنيسة الرئيسي في مكافحة هذه البدعة القديس غريغوريوس بالاماس، رئيس أساقفة تسالونيكي.

ولد القديس غريغوريوس بالاماس عام ١٢٩٦ من أبوين متدينَين وميسورَين. في سن السابعة، فقد غريغوريوس والده وتولى الإمبراطور نفسه مسؤولية تعليمه، مما يعني أنه كان متجهًا إلى منصب عام رفيع. في نفس الوقت، في حضن عائلته، تعرّف على حياة النسك وتعلّم صلاة يسوع من ثيوليبتوس الذي كان راهباً أثوسياً صار لاحقًا مطران فيلادلفيا. على الرغم من أن الإمبراطور كان يهدف إلى إعداده للمناصب العامة الرفيعة، إلا أنه هو نفسه فضّل الحياة الرهبانية.

في خريف عام ١٣١٦، في سن العشرين، غادر إلى الجبل المقدس مع شقيقيه الأصغرين مكاريوس وثيودوسيوس. خلال السنوات الثلاث الأولى من إقامته هناك، كان تحت الإرشاد الروحي للناسك نيقوديموس، على حدود أراضي دير فاتوباذي المقدس. بعد وفاة نيقوديموس، انتقل إلى دير اللافرا الكبير وهو دير شركة، ومن ثم انسحب إلى منسَك.

في عام ١٣٢٥ ، أجبرت غارات الأتراك بالاماس والآثوسيين الآخرين على مغادرة الجبل المقدس. ذهب إلى منسك في إسقيط فيريا، حيث عاش حوالي خمس سنوات في النسك الصارم. في عام ١٣٣١، أجبره الصرب على مغادرة منطقة فيريا والعودة إلى الجبل المقدس، حيث تابع حياته كناسك في قلاية القديس سابا. هنا تعرّف على آراء برلعام، عالم اللاهوت والفيلسوف الذي من كالابريا، في جنوب إيطاليا.

كان برلعام أرثوذكسيًا يقبل كل عقائد الكنيسة كما صاغتها المجامع المسكونية السبعة. لذلك هو لم يُظهِر آراء هرطوقية في المستوى الأول من المستويين اللذين ذكرناهما، ولكن في المستوى الثاني: حول كيف نقبل خلاص الله ونتسلّمه. لم يقل برلعام أن المسيح والروح القدس مخلوقان، كما ادعى الأريوسيون ومحاربو الروح القدس، لكنه ادعى أن قوة الله، أي نعمته، التي بها نخلص مخلوقة. هذا يعني أننا لا نستطيع الدخول في علاقة شخصية مباشرة مع الله، ولسنا متحدين به بل مع نوع من الكينونة المخلوقة. في ما يتعلق بخلاصنا، فإن هذا الادعاء يعادل ما شدد عليه الأريوسيون ومضطهدو الروح القدس.

إن خلاصنا هو حقيقة وجودية. بعبارة أخرى، إنه حقيقة تغلّف وجودنا كله وتتجسد من خلال اتحادنا المباشر والشخصي بالله واشتراكنا به. إنه نقل الحياة الإلهية التي فقدناها من خلال ارتدادنا عنه. نحن لا نخلص بتعلم حقائق معينة أو باكتساب معرفة لاهوتية عن الله. والله لا يخلّصنا بإخبارنا بمعلومات

عن نفسه، بل بالمجيء إلينا كشخص، مع بقائه الإله الذي هو. هو يخلصنا بحياته وموته، بالصليب وقيامته.

يلخص القديس بولس كل سر عناية الله بخلاصنا عندما يقول: "إن السر الذي تنبع منه التقوى الحقيقية عظيم. ظهر الله في الجسد ، وتبرر بالروح ، ورآه الملائكة ، وتم التبشير به بين الأمم ، وآمن به في العالم ، وتم رفعه بمجد". يُختَبَر هذا السرّ في عالم الكنيسة الروحي. هذا السرّ مطابق في جوهره لسرّ الكنيسة. لهذا سمّى القديس غريغوريوس بالاماس الكنيسةَ، التي هي تأسيسنا في الاتحاد والشركة مع الله، "شركة التألّه".

طريق واحد للخلاص

بندلايمون مطران أنتينايوس المتقاعد – كرسي الإسكندرية

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

مؤخراً، نشر الميتروبوليت آلبيذوفوروس رئيس أساقفة أميركا (القسطنطينية)، القول التالي على فايسبوك: "هناك طرق كثيرة تقود إلى رأس الجبل، والذين يتجاهلون هذه الحقيقة هم جهّال".

يحاول سيادته نشر الفكر المسكوني الذي هو خلط ومزج لكل الأديان في واحد.

مع احترام سيادته، أريد أن أشدد بقوة على تعاليم كنيستنا الأرثوذكسية. بحسب الإنجيل المقدس، يسوع المسيح هو الطريق الوحيد والحق وحياة العالم. ما من أحد يصل إلى الآب إلا بالابن. مَن لا يقبل الابن لا يستطيع أن يبلغ إلى الآب.

الكنيسة الأرثوذكسية هي الكنيسة المسيحية الحقيقية الوحيدة التي حافظت، دون أي تغيير أو تبديل، على التعاليم والتقاليد الرسولية الأصلية.

فقط في الكنيسة الأرثوذكسية يمكن للإنسان أن يجد الطريق المؤدي إلى قمة الجبل، وهو الله الآب والابن والروح القدس. ولكن لتحقيق هذا يجب أن ينتمي المرء إلى الكنيسة الأصلية، التي أسسها المسيح على الصليب. فقط في الكنيسة الأرثوذكسية يمكن للإنسان أن يحقق تقديسه وخلاصه بيسوع المسيح. كل الديانات والمسيحيين الآخرين لا يقودون الإنسان إلى غايته النهائية، وهي خلاصه من خلال ابن الله.

أود أن أذكّر سيادته بإيمان آباء كنيستنا القدامى بأنه "خارج الكنيسة، لا يوجد خلاص"!

وبالتالي ، يجب أن يكون واضحًا جدًا أن جميع الأديان الأخرى، كالإسلام واليهودية والبوذية والتاوية وعبادة الأصنام والبدع المسيحية وكل البقية، للأسف، لا تقود الإنسان إلى الخلاص. إنها مؤسسات من صنع الإنسان.

كمسيحيين أرثوذكسيين، نحن نحترم المعتقدات الدينية للجميع، لكننا لا نوافق عليها أو نقبلها. نحن لا نخلط بين الحق والأكاذيب، ولا نخلط بين النور والظلمة، ولا نخلط بين الإله الحقيقي والآلهة الباطلة.

لا يوجد إلا إله واحد وهو الآب والابن والروح القدس.

إذا أراد أيٌّ كان أن يجد الإله الحقيقي، فعليه أن يصبح عضوًا في جسد المسيح الذي هو الكنيسة الأرثوذكسية. الحركة المسكونية هي أحلك بِكرٍ للشيطان.

أطلب بتواضع من سيدنا البيدوفوروس إعادة النظر في بيانه وإعلان التعاليم الحقيقية للكنيسة الأرثوذكسية.

يجب ألا ننسى أبدًا أننا سنقف جميعًا أمام المسيح، القاضي العادل، وسنقدم حساباً عن أعمالنا وكلماتنا وأفكارنا. كل شيء سيُفحص بدقة.

بهذه الأفكار المتواضعة، أعانق صاحب السيادة البيذوفوروس بمحبة أخوية في يسوع المسيح.

بإخلاص

الميتروبوليت بندلايمون

مطران متقاعد في بطريركية الإسكندرية وكل أفريقيا

كاليمنوس، اليونان، في ١٩ تموز ٢٠٢١

تعقيب للأب أنطوان ملكي

تتكرر صور مشاركات الرئاسات في نشاطات مسكونية مصحوبة بتصريحات غالباً ما تفتقد إلى الدقة العقائدية واللاهوتية. القسطنطينية وأنطاكية تتقدمان على غيرهما من الكنائس الأرثوذكسية في هذا الأمر. الأولى بسبب سياسة رئاستها المستعدة للتضحية بكل شيء مقابل الرئاسة، كما فعلت في أوكرانيا مثلاً. أما أنطاكية فنظرياً بحكم الواقع الاجتماعي، فيما الأمر فعلياً يعكس ضعفاً أكثر عمقاً من مجرد ضرورة ظهور المسيحيين بمظهر الوحدة لضرورات سياسية واجتماعية.

يرتفع منسوب اعتياد المؤمنين على أخبار اللقاءات المسكونية ومشاركات الرئاسات في خِدَم غير الأرثوكسيين. بغض النظر عن رأي القانون بهذه الممارسات، وما تعكسه من فوضى في الحد الأدنى ومن تخلٍّ عن الأرثوذكسية في الحد الأقصى، يسود صمت عميق حول هذا الواقع. قد ينشأ هذا الصمت عن الجهل أو الخوف أو قلة الاهتمام. الجهل يعود إلى أن الثقافة اللاهوتية في أنطاكية قد تدجنّت في العقود السابقة، كما تدجّن القائمون عليها وفيها، وبالتالي حتى مَن لا يوافق على الانفلاش المسكوني لا يسجّل اعتراضاً. الخوف يعود إلى ضبابية التوجه وغياب الحوار في أنطاكية. الضبابية قائمة في الممارسة كما في البُنية. نقول شيئاً ونعمل غيره. الولاء هو أولى المواهب. الكلام دائماً باتّجاه واحد، ونصرّ على تسميته تعليماً. العلاقة بين الحوار والتعليم ملتبسة. أما قلة الاهتمام فأسبابها كثيرة، من الوضع الاقتصادي إلى المخاوف السياسية إلى الميل للاعتقاد بأن هموم الكنيسة تخضع للاختصاصات وغيره.

من الممكن أن نفهم صمت الكاهن أو العلماني عن الخطأ بأنه تواضع أو طاعة أو تسليم. من السهل أن يُلصَق بالكاهن أو العلماني الذي يحكي عن الخطأ العقائدي مختلف الغايات أو الصفات كأن يكون هذا يونانياً وذاك متعصّباً والآخر منغلقاً والأخير رجعياً. أما أن يصمت الأسقف عن الخطأ فهو تقصير، بغض النظر عمّا قد يُحكى عنه. الأسقف، كل أسقف، قاطع باستقامة كلمة حق. إذا صمت يعني أنه لم يقطع

كلمة الحق. فعليه، الكلام عن الصمت في الكنيسة هو بالدرجة الأولى صمت الأساقفة، قبل الكهنة والرهبان والحركات والجمعيات وغيرهم من الجسم الكنسي.

من هنا أهمية الخبر أعلاه عن تعليق هذا المطران المتقاعد بندلايمون. هذا المطران لم يتردد لكونه متقاعداً، فيما كثيرون من الأساقفة الفعليين يصمتون. لم يسكت لأن الأسقف المقصود من كنيسة أخرى، فالكنائس بهذا المعنى بنى إدارية مهما حاولت الرئاسات فرض أهوائها على الإدارة، تبقى العقيدة واحدة لأن رأس الكنيسة واحد. لم يصمت لأن الرئيس المقصود رئيس أساقفة، فأيضاً هذه الرتب، كما غيرها، لا تغيّر جوهر الأسقفية. الأسقف حامل صورة المسيح وصحة الإيمان مسؤوليته الأولى.